قيمة ٣٢ ، ٢٩٧٤ خ
ش ٦٩ ح

كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم
لعلكم تتقون (البقرة)

6/194

حكمة الصيام

از
شمس جلال الدين

طبعته الجماعة الاحمدية في سوريا وفلسطين

١٣٤٧ هـ مطبعة الترقي بدمشق ١٩٢٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده ونصلي على رسوله الكريم

حكمة الصيام

بفضل الله ورحمته

يسأل كثير من خصوم الاسلام عن حكمة الصيام ومنافعه قائلين اي نفع يحصل للصائم من تحمل آلام الجوع وشدائد العطش طول النهار . ويحق لهم ان يسألوا عن ذلك ونحن المسلمون امرنا الله بصيام شهر رمضان وقد عده الشارع عليه الصلاة والسلام من قواعد الاسلام الخمسة . وبما ان الآمر الحكيم لا يأمر بفعل عبثاً فلهذا يجب علينا ان نبين لهم حكمته وفوائده وليس لهم فقط بل لاولئك المسلمين ايضا الذين يعتقدون بفرضيته جاهلين فوائده وحكمته لان الانسان متى ما عرف حكمة امر وما توجد فيه من المنافع يرغب اليه وتتوق نفسه لامتثاله .

وبما ان خطاب الشريعة موجه الى العقلاء فلهذا يجب على كل مسلم مؤمن ان يكون عاقلا عالماً باسرار احكام الله لكي يستفيد منها حق الاستفادة وقد قال الله تعالى انا انزلناه قرآنا عربياً لعلكم تعقلون . وآية ان في ذلك لآيات لاولي النهى : وقال ام تحسبان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم

الا كالانعام بل هم اضل سبيلا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل الناس اعقل الناس وقال ان الاحمق العابد يصيب بجهله اعظم من فجور الفاجر وانما يقرب الناس من ربهم بالزلفى على قدر عقولهم . ثم لا يخفى ان امر الصيام ليس بمختص بشريعتنا بل ان الشرائع السماوية باجمعها تأمر به ولذلك نجد ذكره في كتب الهندوس التي يعتقدون بنزولها من قبل الله وكذلك يوجد ذكره في العهد القديم والجديد يقول عزرا النبي ما نصه :

وناديت هناك بصوم على نهر «اهوا» لكي نتذلل امام الهنا لنطلب منه طريقاً مستقيمة لنا (عزرا الاصحاح ٨ العدد ٢١)

ويقول متى في انجيله ان يسوع اخرج شيطانا من المصروع فقال له تلاميذه لماذا لم نقدر نحن ان نخرجه فقال لهم يسوع لعدم ايمانكم فالحق اقول لكم لو كان لكم ايمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا الى هناك فينتقل ولا يكون شيء غير ممكن لديكم واما هذا الجنس فلا يخرج الا بالصلاة والصوم (متى ١٧—١٩)

فوجود الصوم في كتب جميع اقوام العالم دليل واضح على ان الله امرهم بالصيام وان القول بان الله لم يرسل الانبياء الا في بقعة خاصة او من قوم خاص انما ناشيء عن الجهل وقلة التفكر في آيات الله وصفاته والذين تفوهوا بمثل هذه الاقوال ما قدروا الله حق قدره . اعتقد الهندوس بان الله لم يرسل نبيا ابدا سوى الانبياء الذين ارسلوا اليهم في

الهند وكذلك اعتقد اليهود بان الله اختص قومهم بالنبوة . ومثلهم يعتقد الجهلة من المسلمين بانه لم يأت نبي في العالم الا من فلسطين والشام والعرب وما فكروا بان الله لم يذكر في صفاته رب فلسطين او رب العرب او رب الهند بل قال رب العالمين . فكما ان فلسطين والشام والعرب كانت تحتاج للاصلاح الروحاني كذلك الهند والعجم وافريقيا وغيرها من البلاد كانت مفتقرة الى التربية الروحانية ولهذا قال الله تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير وقال ولقد بعثنا في كل امة رسولا . فان الله لم يترك امة الا وارسل اليها نبياً لئلا يبقى لهم حجة على الله من بعد الرسل ويقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل ونخزى . فوجود الصوم في جميع اقوام العالم دليل على ان الله امرهم به بواسطة انبيائه في ازمنة مختلفة ويصدق القرآن المجيد هذه الحقيقة في آية كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون .

ومن عادة الانسان انه اذا وجد نفسه وحده مكلفاً بعمل شاق يستصعبه ولكن اذا كان الحكم يشمل الكل يسهل عليه اتيانه ونظراً لهذه الحكمة قال الله تعالى كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم .

ومن خصوصيات القرآن المجيد في مقابلة الشرائع الاخرى انه يبين الاحكام كاملة مع حكمها ومنافعها ولا يدعي بشيء الا ويثبته بالادلة القاطعة والبراهين الساطعة ولا تجدون هذا الامر في كتب الاولين مطلقاً . اقرؤا التوراة من اولها الى آخرها وكذلك الاناجيل وثندوست

ودساتير وكتب الهندوس (اتهروويد — يجرويد — رجويد — سام ويد) تجدونها خالية من الادلة وحكم الاوامر ومنافعها . ولهذا ختمت الشرائع بالقرآن المجيد فلا يأتي نبي بعد محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بشريعة جديدة ابداً .

واما حكمة الصيام وفوائده فبينها الله تعالى في آية ولعلكم تتقون وآية ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون .

ومعنى التقوى الاجتناب عن المعاصي والمآثم وما يضر الانسان في الدنيا والآخرة من المصائب والآلام والتبتل الى الله والتقرب اليه والارتقاء في الدرجات الروحانية والاتقاء ان تتخذ لنفسك جنة ووقاية من جزاء الاعمال السيئة سواء كان ذلك الجزاء دنيويا او اخرويا .

الحكمة الاولى في الصيام انه يحصل منه ثبات الالفة بين الاقوام وتفصيله بان الاغنياء الذين يأكلون اطايب الاطعمة ويعيشون مترفهين مترفين لا يشعرون بآلام الفقراء والمساكين وما يتحمل اليتامى من التضور وآلام الجوع وشدائد السغب لانهم ما ذاقوا طعم الجوع فلما يصومون شهراً كاملا يعرفون شدائده وآلامه فتمتلئ قلوبهم شفقة ورحمة فيسهل عليهم الانفاق على يتيم ذي مسغبه ومسكين ذي متربه . ويكون عملهم هذا سبباً لرقى القوم وحفظ الالفة بينهم .

ثانياً ان الاسلام لا يريد ان يكون الناس كسالى غير معتادين على تجشم التكاليف وتحمل المشاق بل يريد ان يكونوا مستعدين لتحمل

تكل شدة عند الضرورة فبواسطة صيام شهر رمضان في كل سنة يتمرن
المسلمون لتحمل كل مصيبة وشدة عند الضرورة والذين يعملون بهذا
الحكم لا يمكنهم ان يهلكوا من جراء الكسل والغفلة ·

(الحكمة الثانية) = ان الصائم يحفظ من الهلكة التي قد يتعرض لها
وتفصيله بان الانسان قد يضطر لان يجوع احياناً ولا سيما في السفر
وفي الحروب وربما لا يجد الى يومين اوثلاثة ايام طعاماً ولا شرابا فاذا
لم يكن معتاداً على الصيام والصبر على تحمل اذى الجوع وشدته لايمكن
له ان يعيش يوماً واحداً فضلا ان يحارب اعداءه ولكن الصائم المعتاد
في كل سنة شهراً كاملاً على الصيام لا يعتريه الضعف ولا يأخذه الوهن
في ذلك الحين بل يكابد تلك الشدائد بكل سهولة وبهذا الطريق يكون
الصيام سبباً لنجاته من الهلاك وواسطة للدفاع عن حياض الوطن وقومه
دفاع الابطال ·

(الحكمة الثالثة) = ان الصائم بواسطة صيامه يتجنب الذنوب والآثام
لان الجناح او الاثم ينتجه ميلان النفس الى اللذات المادية وتغلب
القوى الشهوانية على القوى العقلية والانسان اذا اعتاد على ارتكاب
شيء يصعب عليه تركه ولكن اذا كانت قوته الارادية تفوق قواه
الاخرى ففي وسعه ان يترك كل ما يريد تركه فالصائم لما يجتنب جميع
تلك اللذات التي كانت تجذبه وتشوقه لارتكاب السيآت ويقمع
نفسه عن مراتع الشهوات حسب امر الله فتقوى قوته الارادية

وتغلب قوته العقلية كل قواه الاخرى فيسهل عليه بعد مرور شهر رمضان مقاومة مطامع النفس لارتكاب المعاصي فالرجل الذي كان معتاداً على شرب الخمر مثلا اذا امسك عن شربه شهراً كاملا يسهل عليه ان لا يعود اليه ابداً وان قوله بانه لا يقدر على تركه يكون كذبا وزوراً لانه بتركه شهراً كاملاً اثبت بانه في امكانه تركه بتاتاً .

فالصيام يقي الانسان من ارتكاب الذنوب والآثام وما يضره في الدنيا والآخرة ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصيام جنة اي ترس وستر من النار التي تكون في نتيجة ارتكاب الذنوب والآثام .

(الحكمة الرابعة) = لا يخفى ان بقاء الانسان متوقف على الاكل والشرب وبقاء النسل على العلاقات التناسلية ولكن الصائم يمسك عن جميع هذه الامور لا يأكل ولا يشرب ولا يجامع امرأته في حال الصوم فلما يجتنب الصائم الامور التي كانت احلت له في غير حالة الصوم حسب امر الله يسهل عليه بهذا التمرين شهراً كاملاً اجتناب المحرمات كلها طول السنة ولهذا اردف الله تعالى بعد بيان حكم الصيام بقوله ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقاً من اموال الناس بالاثم وانتم تعلمون والحكمة في بيان هذا الامر بعد ذكر الصيام إلفات نظر المؤمن الذي كان ترك أكل الحلال تحت امر الله في الصيام الى انه بالاولى عليه ان يجتنب اكل اموال الناس بالباطل وكذلك الرجل الذي كان أمسك نفسه عن العلاقات التناسلية المحللة

له فبالاولى عليه ان يجتنب العلاقات التناسلية المحرمة عليه فالصيام خير دواء للاجتناب عن المعاصي وردع النفس من السرح في مراتع الشهوات ·

(الحكمة الخامسة) = بما ان الصائم يقوم في آخر الليل للسحور فيجد فرصة للصلاة والعبادة والادعية فيزيد في التقرب الى الله وثانيا بما انه يترك الاستراحة ويتحمل المشاق في قيام الليل فتلتفت اليه رحمة الله بنوع خاص فيتوفق للاعمال الصالحة والترقي في الدرجات الروحانية ·

الحكمة السادسة = ان الصائم لامتناعه عن الاكل والشرب طول النهار وقلة الاحتياج الى الامور المادية يجد وقتاً اوسع بالنسبة الى الايام الاخرى لذكر الله والى هذا الامر اشار الله في قوله ولتكبروا الله على ما هداكم ·

(الحكمة السابعة) = ان الصائم يشكر الله على نعماءه ومواهبه بصورة ما كان يمكنه ان يأتي بها ان لم يصم لان من عادة الانسان انه لا يشعر بعظم النعمة التي اسبغها الله عليه إلا حين يفقدها · ولذلك تجدون كثيراً من الناس لا يمر بخاطرهم طول العمر بان عيونهم نعمة من الله ولكن لما يفقد احد منهم عينه يعلم حينذاك بان العين نعمة كبيرة كذلك الصائم لما يجرب في نفسه شدة الجوع يشكر الله على ما افاض عليه من من النعم وانواع الاطعمة فيسعى لان يقضي حياته في الامور النافعة

والاعمال الصالحة ولا يمضيها في اللهو واللعب والى هذه الحكمة اشار الله في قوله ولعلكم تشكرون .

(الحكمة الثامنة) = انه يحصل للصائم البعد عن الصفات البهيمية والسبعية والقرب من الصفات الملكية لعدم الاكل والشرب والكثرة من ذكر الله واتيان اوامره واجتناب نواهيه وبما ان المستغني عن الطعام والشراب حقيقة هو الله تعالى فالصائم لما يمتنع عن استعمال الاشياء الناقضة لصومه حسب امره فلا بد انه يجازيه على صومه خير جزاء فالصوم غذاء روحاني يدخره الانسان لآخرته وقد ورد في الحديث القدسي عن الله تعالى انه قال كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فانه لي وانا اجزي به والصيام جنة واذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث (اي لا يفحش) ولا يصخب فان سابه احد او قاتله فليقل اني امرؤ صائم (بخاري) والذي لا يترك الكذب وغير ذلك فصومه ليس بصوم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في ان يدع طعامه وشرابه (بخاري)

(الحكمة التاسعة) = ان الصوم يوجب صحة الجسم والروح وقد قرر الاطباء بان قلة الاكل والشرب مفيد لصحة البدن ويقول الصوفية واولياء الله ان الصوم يجلي القلب وينوره وتزداد منه القوة الكشفية وينكشف على الصائم حقائق الاشياء ولا سيما معارف القرآن وان شهادة جميع اولئك الابرار والصلحاء الاخيار الذين حصلوا على البركات

الروحانية والتقرب الى الله وما انكشفت عليهم من الحقائق والمعارف من الصيام لا يجوز لاي عاقل ان يردها من دون برهان فالصوم سبب لانارة القلب وصفاءه ·

(الحكمة العاشرة) = ان الصيام علامة اظهار محبة الله كما ان المحب الصادق والعاشق الولهان يترك جميع ملذات الحياة وكل راحة ويترك الاكل والشرب في سبيل وصال محبوبه ولا يفتكر الا في لقائه كذلك الصائم يظهر هذه الحال في محبة الله وعشقه حتى إن العاشق الحقيقي بعد تحمل المشاق لما يصل الى دار المحبوب يعتكف في باب داره ويظهر كل خشوع وخضوع ويتحمل آلام الجوع والظمأ ثم لا يبرح ذلك المكان حتى يتجلى له محبوبه ويهبه الحياة بابتساماته الظاهرة كذلك الصائم بعد ان يتحمل من شدائد صيام عشرين يوماً يعتكف[1] في المسجد العشر الاواخر من رمضان ويحرم عليه في ذلك الوقت مباشرة زوجته مطلقاً كما قال الله تعالى ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد · لان العاشق الولهان لا يفتكر في مثل هذه الامور فيتضرع الصائم ويصرخ ويعول ويبكي امام الله واضعاً جنبيه على الارض ليلاً ونهاراً طالبا ان يتجلى الله عليه · فيتجلى الله لبعض عباده المقربين وليلة القدر التي ورد في بعض الروايات ان يتحراها الانسان في العشر

---

(١) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الاواخر من رمضان (بخاري)

الاواخر من رمضان اشارة الى هذا التجلي الالهي فالصيام واسطة لاظهار محبة الله وعشقه .

(وقت السحور والافطار)

روى البخاري عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال تسحرنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم قام الى الصلاة قلت كم كان بين الاذان والسحور قال قدر خمسين آية . وكذلك ورد في البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لايزال الناس بخير ما عجلوا الفطر .

والحكمة في تأخير السحور وتعجيل الافطار هو لكي يتمتع الصائم ببركات النهار والليل كلا على حدة ولا يخفى على دارسي الجغرافية وعلم النجوم ان الشمس والقمر والنجوم لها تأثيرات تختلف بعضها عن بعض ولتأثيراتها دخل كبير في مد البحر وجزره اذ يحصل هذان من جاذبية القمر وكذلك نرى في النباتات ان تأثير الليل يختلف عن تأثير النهار فيها . ترون ان القثاء وغيرها من الخضروات نموها في الليل اكثر منه في النهار . وبالأجمال لاينكر عالم مفكر في قانون الكون ان النهار والليل يختلفان من حيث التأثير في اشياء العالم . وبما ان الصوم كان مفروضا في النهار فالشارع امر بان يعجل الصائم في الافطار ويؤخر في السحور لكي يحصل الانفصال بين الوقتين ويسعى للحصول على البركات التي تتعلق بالنهار والبركات التي تختص بليالي رمضان .

(قيام الليل او صلاة التراويح)

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من قام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه (بخاري) ولا شك في ان الرجل الذي يتوب الى الله توبة نصوحا ويعاهد نفسه بانه لا يرجع الى ارتكاب الذنوب ابداً فان الله يغفر ذنوبه ويوفقه للاعمال الصالحة وان الشارع امر خصوصاً بقيام الليل في رمضان لكي يتلقى الصائم البركات التي تنزل في ليالي رمضان ويخالف اهواءه النفسانية كل المخالفة لان الصائم لاجل ما حصل له من التعب والعناء من جراء آلام الجوع والعطش طول النهار يريد الاستراحة ولكن مع ذلك يسهر بالليل ويتضرع الى الله .

وقيام الليل في الحقيقة هو صلاة التهجد التي امر بها الله في القرآن المجيد بقوله ومن الليل فتهجد به نافلة لك . وبما ان شهر رمضان كان شهر نزول البركات الروحانية والانوار السماوية خاصة امر الشارع المسلمين ان يقوموا ليـاليه . ولكن بكل أسف اقول بان المسلمين جعلوا صلاة التراويح اليوم محض رياضة يؤدونها بغير حضور قلب ومن دون ان يحصل لهم اطمئنان وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل صلى مسرعا ارجع فصل فانك لم تصل — فالذين يؤدون صلاة التراويح من دون ان يحصل لهم الاطمئنان في السجود والركوع والقيام فهم عبثـا يتعبون انفسهم وكان خيرا لهم ان يصلوا احدى عشرة ركعة بشروطها كما كان يصلي نبينا صلى الله عليه وسلم روى البخاري عن ابي سلمة بن

عبد الرحمان انه سأل عائشة كيف كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فقالت ما كان يزيد في رمضان ولا في غيرها على احدى عشرة ركعة يصلي [1] اربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي اربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي ثلاثا — فارى انه خير للمسلمين اداء احدى عشرة ركعة على احسن صورة من اداء ٢٣ ركعة مستعجلين مسرعين ٠

(كيف يصوم سكان القطب الجنوبي والشمالي)

يعترض المبشرون المسيحيون بانه اذا كان دين الاسلام لسكان جميع الكرة الارضية فكيف يمكن لاهالي القطبين ان يصوموا حيث يمتد الليل والنهار الى ستة اشهر فنقول ان جواب هذا السؤال موجود في القرآن المجيد ولكن لا يقرؤه الا العقلاء انظروا ان الله امر الانسان عندما اراد ان يقوم للصلاة ان يغسل وجهه ويديه الى المرفقين ولكن اذا كان الرجل مقطوع اليدين فماذا يكون حكمه فظاهر انه لا يكون مكلفا بهذا الحكم لان الله تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها وكذلك نقول ان الله امر بصيام شهر رمضان وقال من شهد منكم الشهر فليصمه فالموضع الذي لا يوجد فيه شهر رمضان لا يكلف سكانه للصيام فافهم !

---

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الليل مثنى مثنى (بخاري)

(صدقة عيد الفطر)

وفي اول يوم بعد انتهاء شهر رمضان عين الشارع يوم العيد يوم الفرح والسرور وبما ان سرور المؤمن في عبادة الله واظهار عظمته فلهذا عين الشارع صلاة العيد اي صلاة سادسة في ذلك اليوم اظهار الشكر لله بانه وفقهم لاداء فريضة صيام رمضان فالعيد في الحقيقة لاولئك الذين صاموه وقاموا لياليه . ثم عين الشارع صدقة الفطر بان يؤديها كل واحد عن نفسه وعمن يعوله وهذه الصدقة توزع على الفقراء والمساكين لكي يكون سرور الجميع شاملا كاملا وامروا بان يؤدوها قبل الصلاة لكي يحصل منها الغرض المقصود فلا يرى في ذلك اليوم من سائل — ولو اخذ اولو الامر جمع هذه الصدقات وتوزيعها على الفقراء في ايديهم لكان ادعى لحصول المقصود من اداءها .

***

(خاتمة)

وفي الختام ارجو من اخواني المسلمين ان يسعوا لفهم اسرار العبادات و يعلموا بان فلاحهم وفوزهم ونجاحهم متوقف على احياء شعائر الدين و يعلموا بان الدين فوق كل شئ ولا يغرب عن ذهنهم ان سر نجاح الصحابة كانت هذه العبادات فكانوا يعرفون امرارهـا و يستفيدون

منها حق الاستفادة وها كم شهادة اعداءهم الالداء عن سر نجاحهم «قال هرقل لما قدم منهزماً جيشه ويلكم من هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم أليسو بشراً مثلكم قالوا بلى قال أنتم اكثرام هم قالوا بل نحن اكثر اضعافا منهم في كل موطن قال فما بالكم تنهزمون كلما لقيتموهم فقال شيخ من عظماءهم من اجل انهم يقومون الليل ويصومون النهار ويوفون بالعهد ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويتناصفون بينهم ومن اجل انا نشرب الخمر ونزني ونرتكب الحرام وننقض العهد ونغضب ونظلم ونأمر بما يسخط الله وننهي عما يرضى الله ونفسد في الارض فقال انت صدقتني» (راجع تاريخ ابن عساكر الجزء الاول المطبوع روضة الشام ص ١٤٣)

فلاجل امتثال اوامر القرآن الكريم حصل للصحابة في الارض ما حصل من الرقي العظيم فقوموا واقتدوا بآبائكم الاولين الذين امتثلوا اوامر الله عالمين باسرارها وحكمها فكانوا من الناجحين وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين •

جلال الدين شمس احمدي — (حيفا — فلسطين)

رمضان المبارك عام ١٣٤٧

